

# إلى الحياة



## عادت صدد ولم يعد علاء نون

إطلاق صاروخ على أليتهم. وجدت جثث الباقيين من المجموعة، وبينهم الشهيد فضل الله فارس، الذي وجدت جثته مع جثث عناصر الشرطة بعد دخول الجيش، ولم تظهر جثة علاء. عُلمت صور علاء، مع أقوال لزعيم حزبه أنطون سعاده عن الشهداء والأبطال، لكنه ليس شهيداً بعد، بل في عداد المفقودين. أمه تنتظره، وإخوته، ورفقاؤه بحثوا صدد شبراً شبراً ولم يجدوا أثراً له. يقول شقيقه: «إذا علاء منصاب ويعود عايش، ما بينخاف عليه، جبار، بيتحمل جرحه وبيطيب، وإذا استشهد، الله يرحمو، بس بدنا نعرف مصيره».

صور شهداء بلدة صدد والشهداء القومييين تملا جدران البلدة، وكذلك قرى بلوزة وزيثا وحاويك في ريف القصير. قد يكون الشهداء والمفقودون والجرحى أرقاماً في سياق الحرب السورية المتعبة للناس الذين يسمعون أخبارهم عبر شاشة، لكنهم ليسوا كذلك عند أهلهم وأحببتهم. وهكذا هو حال علاء نون، فقد تحزرت صدد، البلدة التي حمل لأجلها بندقيته، وهو لم يعد. سقط علاء والمجموعة التي كانت معه بين شهيد وجريح خلال الدفاع عن الحارة الشمالية، بعدما سيطر المسلحون على باقي البلدة وبقيت الحارة الشمالية، إثر

## ظن الأهالي ان بقاءهم من دون سلاح قد يبعد عنهم شر المجموعات المسلحة

الباب طالبين مفتاح السيارة، «قالولي غيرنا إياها شوي، ولسنا ما رجعوا...». يضحك جوزف حين يخبر كيف أطلت ابنته الصغيرة جورجينا ذات الخمسة أعوام، برأسها من زاوية الباب، لتسأل أحد المسلحين «ليش لايس فستان؟»، في إشارة إلى أحد عناصر جبهة النصرة بعباءته الطويلة، «الحمد لله ما أخذ على حكيها». لم يكن المسلحون بهذا اللطف مع كل الأهالي، «تعا تعا يا ابني لفرجيك شو عملوا. كانوا شاحطين ابن عمي على الدرج، ودمو عم بشرشر، وهوي عم بصرخ، ليك دمو هون، وهون على السلم، ما استرجيت اطلع... يا حرام، شب»، يقول أبو الياس، الذي فوجئ بعد ساعة بأن المسلحين استطاعوا الدخول إلى داره من فجوة في بيت جاره، وعاثوا فيه تخريباً وسرقة. يسخر الأهالي هنا، «يعطيهم العافية تعبوا، ما تركوا قشة بالبيوت، لازم يكون اسمهم «جيش الجراد» مو الجيش الحر». بالمناسبة، «الجراد» ليس حكراً على المعارضة المسلحة. فعندما طرد الجيش السوري المسلحين من البلدة، هاجم سارقون بيوتاً بلا سكان، وسرقوا ما بقي فيها، ويؤكد الأهالي أن الجيش اعتقل بعضهم وأعاد المسروقات إلى أصحابها.

### السرعة في الحسم

لم تتأخر القوات السورية في الوصول إلى صدد. تقول المصادر العسكرية هنا إن «موضوع صدد محسوم، ممنوع السيطرة عليها، وكذلك مهين، التي ستحرر خلال أيام، إن لم يكن ساعات». في اليوم التالي لهجوم المعارضة، دخلت سرايا المهمات الخاصة في القوات السورية وعناصر من الدفاع الوطني

الوطني والقومي السوري. دفعت البلدة 45 شهيداً معظمهم من المدنيين، بينهم ثلاثة مقاتلين هم علاء خشوف، أندريه كرمه وجورج السبعة، و10 مفقودين بينهم أبو وجيه الشيخ وزوجته وابنته وزوجها وولداهما وسعدو الخوري. وبعد ظهر أمس، اكتشفت بئر قديمة تحوي جثثاً مجهولة الهوية بسبب التحلل الذي أصابها في الماء، وبدأ الدفاع المدني العمل على انتشالها. يقول المطران مار سلوانوس بطرس النعمة، الذي انتقل إلى كنيسة مار ميخائيل في صدد بعدما انتقلت المطرانية إلى البلدة إثر المعارك في منطقة الحميدية وفي بستان الديوان في حمص، إن «صدد بلدة مسالمة، والمطرانية كانت دائماً تقوم بواجبها بالدعوة إلى المحبة وعدم حمل السلاح، لكن هكذا تكافأ صدد؟ يحتلون بيوتها ويهدمونها ويقتلون أهلها؟». لم يسمح المسلحون لعدد من أهالي البلدة بالمغادرة، «زربونا بالبيت، قال واحد منون إذا بتطلعوا منقتلكم، قلنا لو ليش بديك تقتلنا، خلص منصل بالبيت يا أخي»، يقول جوزف. واجه الرجل وعائلته الموت حين طرق المسلحون على

والقومي السوري مدعومة بالدبابات وبدأت عملية تحرير البلدة. بدأ تقدم الجيش من الجهة الشمالية، وبعد حدوث الاختراق، بدأ الهجوم من المحور الغربي أيضاً. وحتى مساء أول من أمس، كان أهالي البلدة لا يزالون يبلغون القوات عن وجود جثث تعود لمسلحين تنتشر بين البيوت، وفي البراري القريبة. تقول المصادر العسكرية إن المسلحين فوجئوا بالقوة النارية والسرعة التي تقدم بها الجيش، إذ لم يتمكنوا من بناء التحصينات اللازمة وزرع العوات الناسفة والأشراك لوقف تقدم القوات الخاصة والدبابات، على الرغم من حيازتهم أسلحة صاروخية حديثة، وقذائف حرارية. بعد تحرير البلدة، تجري أعمال تحصينها على قدم وساق. لم يعد هناك ممرات عشوائية في محيط البلدة تسمح بالوصول إلى أحيائها الكبيرة (حارة التل أو الحارة الوسطى، حارة العين أو الحارة الجنوبية، حارة الفراديس أو الحارة الشرقية، حارة السقي الشمالي، الحارة الغربية أو حارة الدلة، ومنطقة الناحية التي تضم البريد ومركز الشرطة). حصرت حامية البلدة الدخول إليها من مداخل الزامية مع انتشار كثيف للحواجز والكامائن الليلية والنهارية، تحسباً لأي هجوم مضاد قد تقوم به المعارضة المسلحة، التي لا تستخدم الطرقات المعبدة، بل تسير سياراتها الرباعية الدفع في البادية المنبسطة.

**المستشفى و«لواء الأصالة والتنمية»!** اتخذ المسلحون من مستشفى صدد مركزاً عسكرياً. يقول أحد العاملين في المستشفى إن المسلحين «شحنوا» كل ما لا يلزمهم من أجهزة الأشعة وماكينات غسل الكلى والآلات الأخرى في الساعات الأولى لدخول البلدة، ثم نقلوا أسرة وأجهزة تلزم في الإسعاف الأولى إلى منزل حولوه إلى مشفى ميداني، «هون بس بيسعفوا جريح، والحالات الحرجة بتروح على النيبك»، يقول العامل. ويقول أحد العاملين أيضاً إنه سمع «الأمير» يصرخ على جهاز اللاسلكي أن الطائرات السورية قصفت قافلة الطاقم الطبي التابعة لـ«درع الإسلام»، وأنهم يحتاجون طاقماً جديداً. «فات علينا المسلحون وقالولي خبوا المرصضات، جماعة النصرة ما بيحبوا يشوفوهن، وغمزوني»، في جعبة العامل نكتة أيضاً، «قرت على صدر كم مقاتل «لواء الأصالة والتنمية»، وتنمية والله». صدد تعود إلى الحياة شيئاً فشيئاً، لكن ما قبل غزوة «أبواب الله التي لا تغلق» كما سمتها المعارضة المسلحة لن يكون كما بعدها، المسلمون هنا لن يألوا جهداً في حمل السلاح من الآن فصاعداً.



طفلتان سورييتان في مدينة صوفيا في بلغاريا (أ ف ب)

فضلاً عن رداء صوت المنشدين والدموية التي تعبر عنها الكلمات، انهالت التعليقات لتشتت مبادئ هذه «الدولة» المفترضة، ومن ثم لتسخر من مخيلة التكفيريين التي اعترها العجز الكامل، فلم تتمكن من تجاوز نشيد البعث، ولم تستطع تخطيه أو حتى تقليده دون استنساخه بشكل مفضوح. الأخرى بأمراء داعش أن يتفرغوا لجهاد الذبح وقطاف الرؤوس ومن ثم إحصاء عدد الحوريات الموعودات.

من رؤوس كم فللنا من حديد/كم بذلنا من نفوس كم فقدنا من شهيد/نحن إن ننزل بساح ساء صبح المنذرين/نحن بالذبح أتينا نسحق الكفر اللعين/نحمل القرآن جثنا نفرض التوحيد دين/نقتفي نهج الرسول والصحاب الأكرمين. ينتهي النشيد بالعادة المعروفة وهي التكبير، ثم ابتهاج لا يكتمل إلا بإطلاق الأعيرة النارية في الهواء. وبعيداً عن بؤس الشريط وافتقاره إلى أي إيجابية،

الأخيرة تقدماً كبيراً في عدد المشاهدات التي قاربت 18 ألفاً. في شريط النشيد، الكاميرا مثبتة على مجموعة من مسلحي «الدولة الإسلامية» بأقنعتهم السوداء ولباسهم الميداني «الشرعي»، وهم وسط الرمال، لينشد أحدهم، ويرد «كوران» أبي بكر البغدادي: قام للإسلام صرخ في بلاد الرافدين/دولة الإسلام تبقى رغم أنف الحاقدين/مرت الأعوام خمسا في تحدٍ وصمود/كم تخطينا صعاباً كم كسرنا من قيود/كم قطعنا